درس بعنوان: شرح رسالة كشف الشبهات (الدرس الأول)

لفضيلة الشيخ الدكتور/ عبد العزيز بن أحمد البداح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد فهذا هو الدرس الأول من شرح رسالة كشف الشبهات للإمام المُجَدِّد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى ومن فضل الله تعالى على العبد المؤمن أن يوفقه إلى التوحيد التزامًا وتحقيقًا ودعوةً ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الجمعة:٤]؛ لأنَّ بتحقيق التوحيد يدخل العبد الجنة وينجو من النار ويحصل على ما يترتب على تحقيق التوحيد من الفضائل والدرجات العُلى في الدنيا وفي الآخرة؛ ولهذا على العبد المؤمن أن يحرص على تَعلُّم هذا العلم العظيم فإنه أولى العلوم وأوجب العلوم لأنه يتعلق بما يستحقه الله تعالى في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته ثم إذا تعلم هذا العلم فإنه يجب عليه أن يدعوَ إليه ويحث عليه ويَذُبَّ الشُّبُهات التي تُثار حول هذا العلم العظيم وما أجمل وما أعظم أن يلقى العبدُ رَبَّه وفي صحيفته الدعوة إلى توحيده. هذه الرسالة رسالةٌ عظيمة اسمها:

" كَشْفُ الشُّبُهات" أما كلمة كَشْفُ فالكَشْفُ في اللغة أصلٌ في سَرْوِ شيءٍ عن شيء يعني رفع شيءٍ عن شيء وكَشَفَ الشيء يعني أبانه وأبرَزَه وأظهره كما قال سبحانه: ﴿...فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ ...﴾ [ق:٢٢] الشُّبُهات: جمع شُبْهة والشُبْهة هي المَأْخَذ المُلْتَبِس وسُمِّيَت شُبْهة؛ لأنها تُشْبِهُ الحق وقد جاء في البخاري ومسلم أنَّ النبي ﷺ قال: ((إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ، وإن الْحَرَامَ بَيِّنٌ، وبَيْنَهُمَا أمور مُشْتَبِهَاتٌ - وفي رواية مُشَبَّهَاتٌ- ....)). وأصل خَلْطِ الحق بالباطل من عَمَلِ إبليس وأتباعه فإن إبليس وأتباعَه يدخلون على الناس من باب خَلْطِ الحق بالباطل فإنهم لا يأتون بالباطل خالصًا أو صِرْفًا؛ لأن النفوس تنْفُرُ منه وتَسْتَوْحِش لكنهم يخلطون الباطل بشيءٍ من الحق حتى يَروجَ على الناس كما قال عز وجل عنهم: ﴿...وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ...﴾ [الأنعام:١٣٧] وأنكر الله عز وجل على أهل الكتاب فقال: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَ أَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٤٢] المقصود أن أصل الشبهة هي خلط الحق بالباطل حتى يروج على الناس وفي هذا امتحان لهم واختبار لهم. من الذي يُمَيِّزُ الشبهات ويتبين له بُطْلانُها؟ هم المستضيئون بنور الإيمان والعلم لأن الله عز وجل جعل من آثار الإيمان به أن يكون عند العبد فرقانًا يفرق به بين الحق والباطل ﴿...إِن تَتَّقُوا اللَّهَ

يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا...﴾ [الأنفال:٢٩] ويتميز الباطل عن الحق عند العبد المؤمن بالعلم فكلما كان العبدُ أكثرَ رُسوخًا في العلم كلما تبين له الحق من الباطل.

هذه الرسالة ما موضوعُها؟ موضوعُها بيان شُبَهِ المشركين والرَّدُّ عليها. هذه الشُبَه تعود إلى شبهتين عظيمتين ذكرهما الله عز وجل في القرآن: الشبهة الأولى: جاءت في سورة يونس في قوله سبحانه: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ...﴾ [يونس:١٨]

الشبهة الثانية: ما جاء في سورة الزمر في قوله سبحانه: ﴿...وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ...﴾ [الزمر:٣]

وهذه الشبه التي ذكرها الشيخ رحمه الله أكثرُها كان من شبه المشركين الأوائل ولا يزال دُعاةُ الشرك والمُرَوِجين له يُرَدّدونها إلى زماننا هذا.

عُنِيَ العلماءُ بالكتابة في شبه المشركين والرد عليها، وممن كتب في هذا شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتابَينِ له الكتاب الأول: "الرد على البِكْري" المعروف بالاستغاثة والكتاب الثاني: "الرد على الإخنائي"، وممن كتب أيضًا تلميذه ابن القيم رحمه الله في المجلد الثاني من كتاب "إغاثة اللهفان"، وممن كتب أيضًا الإمام ابن عبد الهادي أحد تلاميذ شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه: "الصارِم المُنْكي في الرد على السُّبْكي" وكتب غيرُ هؤلاء. أما الكتب التي تُرَوِجُ للشرك والضلال فهي كثيرة لكنَّها كُتُبٌ واهِيَة، ومن أوائل من كتب في تقرير هذه الشبه تقي الدين السُّبْكي في كتاب له اسمه "شفاءُ السِّقام في زيارة قبر خير الأنام" ومن كتب بعد السُّبْكي اعتمد على كتابه هذا. ممن كتب اسمه "الفتوحات الإسلامية" ورد عليه ومتين أحد علماء الهند وهو محمد بشير السهسواني وهذا الكتاب في الرد على كتب دَحْلان وهذا الكتاب عظيم يستحق القراءة والمُطالعة واسمه: "صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دَحْلان"، ممن كتب في الرد على شبهات المشركين الإمام الشوكاني رحمه الله في كتاب له اسمه:" الدُّر النَّضيد في إخلاص كلمة التوحيد" وكتب أيضًا الصَّنعاني رحمه الله في رسالةٍ له: " تطهير الاعتقاد عن أدْران الإلحاد" وممن كتب أيضًا في زماننا هذا الشيخ العلَّامة صالح آل الشيخ في كتابٍ له اسمه " هذه مَفاهيمُنا" رَدَّ فيه على شخصٍ يُدعى محمد عَلَوي في كتابٍ له اسمه: "مفاهيم يجب أن تُصَحَّح"

أخذ أعداء التوحيد في التنفير من دعوة التوحيد أخذوا أو ساروا في ذلك في اتجاهين:

الاتجاه الأول: في تشويه الدعوات الإصلاحية ومن ذلك دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله- فألَّفوا الكتب وكتبوا الرسائل في نبذ هذه الدعوة ودعاتها فاتَّهَموا الشيخ ودعوتَه ومن اتبعه على الحق بأنهم خوارج وأنهم خالَفوا جماعة المسلمين وأنهم جاؤوا بدينٍ جديد ومَذْهَبٍ خامس إلى غير ذلك من هذه الدَّعَوَات فصار المسار الأول الذي سَلَكَهُ أعداءُ التوحيد هو تشويه الدعوات الإصلاحية ومنها دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - فألَّفوا الكتب وكتبوا الرسائل في التنفير من هذه الدعوة وانبرى للدفاع عن هذه الدعوة وبيان حقيقتها كثير من العلماء في العالم الإسلامي من الهند والباكستان والمغرب ومصر والشام والعراق وكُتِبَ في الدفاع عن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ما يزيد على ثمانين كتابًا كتبها علماء الهند وباكستان ومصر والشام والعراق والمغرب وغيرها من بلاد العالم الإسلامي كتب عبد الكريم الخطيب وكتب محمد خليل هَرَّاس وكتب محمد حامد الفقي وهؤلاء من مصر مثلًا وغيرهم وكتب محمود شيت خَطَّاب ومحمود بهجت الأَثَري من العراق وغيرهم وكتب أيضًا من الهند العالِم ثَناءُ الله وكتب أيضًا محمد تقي الدين الهلالي من المغرب. المقصود أن الكُتُب التي عالَجَت المسار الأول كُتُب كثيرة دافَعَت عن هذه الدعوة.

المسار الثاني الذي سلكه أعداء التوحيد: هو إثارةُ الشُّبُهات على حقيقة التوحيد نفسِه، وقد ذَكَرْتُ لك في المقدمة جملةً من الكتب التي أُلِفَتْ في إثارةُ الشُّبُهات حول دعوة التوحيد.

هذه الرسالة "كشف الشبهات" ذَيَّلَ عليها بعض أهل العلم وممن ذَيَّلَ عليها وأضاف عليها الشيخ/ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب حفيد المؤلف، أين تذييلُه؟ في شرحه على كتاب التوحيد في باب: "من الشركِ أن يستغيث بغير الله أو يدعوَ غيرَه" وممن ذَيَّلَ على هذه الرسالة وأضاف عليها الشيخ/ عبد الرحمن الدوسري رحمه الله في طبعةٍ قديمةٍ لكشف الشبهات.

دُعاةُ الباطل وأتباع الشيطان الذين يَصُدُّون الناس عن التوحيد والإيمان لا يزالون بالناس منذ عهد النبي ﷺ إلى زماننا هذا لكن في كل زمن ينبري من يرد عن دعوة التوحيد هذه الشبهات ويبين بُطلانَها وزَيفها وتَهفَها فبين الشيخ رحمه الله في رسالته هذه بُطْلان هذه الشبهات وتَبِعَهُ أبناؤه وتلاميذُهُ، فكتب أبناؤه وتلاميذُهُ في الرد على دعاة الضلال والشرك في زمنهم فكتبوا في الرد على عثمان بن منصور وكتبوا في الرد على داوود بن جَرْجيس أحد علماء العراق، كتب الشيخ عبد الرحمن بن حسن وكتب ابنه الشيخ عبد اللطيف أيضًا ولا زال أهل العلم إلى زماننا هذا وهم يَرُدُّون على دعاة الباطل.

من المهم إن المُوَحِّد والمؤمن يعرف هذه الشبهات ويعرف بُطلانَها حتى لا تَنطَلي عليه وحتى يُبيِّنَ للناس الحق ويكشف لهم زَيف الباطل؛ لأن دعاة الضلال لا يزالون إلى زماننا هذا يخرجون على الناس في وسائل الاتصال والتواصل والإعلام يَبُثُّون سمومهم وشُبَهَهُم وإذا لم يكن عند المُوَحِّد علم فإنه قد ينطلي عليه شيء من زيف هذه الشبهات.

(بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين كتاب" كشف الشبهات" لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى قال رحمه الله تعالى:

" **اعلم رحمك الله أن التوحيد هو إفراد الله سبحانه بالعبادة**") هذه الرسالة من الرسائل المُمَيَّزَة التي كتبها الشيخ رحمه الله فإن الشيخ كتب مُؤَلَّفاتٍ كثيرة لكن تميزت بعض مؤلفاته أكثر من البعض الآخر ومما تميز من مؤلفات الشيخ "كتاب التوحيد " فإنه كتابٌ عظيم وهذه الرسالة التي بين أيدينا "كشف الشبهات" هذه الرسالة افتتحها المؤلف بقوله " بسم الله الرحمن الرحيم" وهذا جَرْيًا على عادة أهل العلم في أنهم يفتتحون كتبهم بالبسملة اتباعًا للكتاب العزيز فإنه أُفْتُتِحَ بالبسملة وتأسيًا بسنة النبي ﷺ الفعلية فإنه في مراسلاته ومكاتباته عليه الصلاة والسلام كان يكتب: بسم الله الرحمن الرحيم ومن ذلك كتابه لهرقل الذي جاء فيه ((بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله إلى هرقل عظيم الروم...)) وهو في البخاري وروى بن أبي شيبة أن النبي ﷺ كان يكتب: ((باسمك اللهم)) فلما نزل قوله عز وجل: ﴿ إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَ إِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ [النمل:٣٠] صار يكتب: " بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ"

الأمر الثالث: اتباعًا للسنة القولية للنبي ﷺ قد جاء عند الإمام أحمد وأصحاب السنن أن النبي ﷺ قال: ((كلُّ أمرٍ ذي بالٍ لا يُبدَأُ فيهِ ببسمِ اللَّهِ – وفي رواية بالحمد لله- فَهوَ أبترُ))

وهذا الحديث مُتَكَلَّمٌ فيه ثم قال المؤلف بعد ذلك: " **اعلم رحمك الله**" فيه إشارة إلى أن العَلَاقة بين الشيخ والمُتَعَلِّم قائمةٌ على الرحمة وهذا فيه إشارةٌ إلى أن الشريعة كلها مُتَضَمِّنَةٌ للرحمة والله عز وجل من أسمائه الرحمن الرحيم والنبي ﷺ بعثه الله رحمة ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧] وفي صحيح مسلم: ((أَنَا نَبِيُّ الرَّحْمَةِ)) والقرآن رحمة ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ...﴾ [يونس:٥٧] والله عز وجل لما ذكر رحمته قدمها على العلم في قوله سبحانه: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا...﴾ [غافر:٧] ولما ذكر

الله عز وجل العبد الصالح في سورة الكهف قال: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف:٦٥]؛ ولذا فالعلاقة بين أهل العلم قائمةٌ على الرحمة. " **اعلم رحمك الله**" وهي أيضًا فيها تَلَطُّفٌ بالمتعلم.

اعلم رحمك الله أن التوحيد بدأ المؤلف رسالته في التعريف بالتوحيد، ولماذا بدأ المؤلف رسالته في التعريف بالتوحيد؟ لأن الخصومة بين الرسل وأقوامهم كانت في التوحيد، ولأن هذه الشبهات التي سيبحثها المؤلف في هذه الرسالة ترجع إلى الشبهات المُثارة حول التوحيد، فناسب أن يبتدئ المؤلف رسالته في التعريف بالتوحيد.

التوحيد مُفْرَدَة جاءت في السُّنَّة في صحيح مسلم في حديث جابر الطويل في صفة حج النبي ﷺ قال: ((... فأهلَّ بالتوحيد...))، وجاء في رواية ابن عمر في صحيح مسلم ((بُنِيَ الإسلام على خمس على أن يُوَحَّدَ الله...)) فالتوحيد مُفْرَدَة جاءت في السُّنَّة.

التوحيد في اللغة مصدر وحد يوحد توحيدًا أي جعله واحدًا، والتوحيد هو إفراد الله في الربوبية والألوهية والأسماء والصفات والمراد بالتوحيد هنا توحيد الألوهية، ولابد لطالب العلم أن يعلم أن من المسائل العظيمة التي حصل فيها خلاف بين أهل السنة وغيرهم مسألة تقسيم التوحيد فإن أهل السنة يقولون أن النصوص دلت على أن التوحيد ثلاثة أنواع توحيد الربوبية والألوهية وتوحيد الأسماء والصفات ودل على هذا التقسيم التتبع والاستقراء.

المخالفون لأهل السنة يقولون إن التوحيد واحد وهو توحيد الربوبية وهل هذه قسمة اصطلاحية لا ينبني عليها شيء؟ لا، ما يعده أهل السنة من الشرك وما جاء في النصوص تسميته شرك فإن المخالفين لأهل السنة لا يرونه شركًا لأنهم لا يرون أن الشرك لا يقع إلا في الربوبية فيمن اعتقد أن غير الله خالق أو رازق أو مدبر على وجه الاستقلال، ولهذا من المهم إن طالب العلم يعرف أدلة أن التوحيد ثلاثة أنواع، ما الذي دل على هذا؟ دل على هذا آيات كثيرة في القرآن ولهذا ما يذكره أعداء التوحيد من أن تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام بدعة ابتدعها الشيخ محمد بن عبد الوهاب أو ابن تيمية هذا قول ساقط، بل إن نصوص القرآن دلت دلالة واضحة وصريحة على أن التوحيد ثلاثة أنواع قال عز وجل: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة:٢] إشارة للربوبية ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة:٣] إشارة للأسماء والصفات ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة:٥] إشارة لتوحيد الألوهية قال عز وجل: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [الناس:١] إشارة للربوبية ﴿مَلِكِ

النَّاسِ﴾ [الناس:٢] إشارة للأسماء والصفات ﴿إِلَهِ النَّاسِ﴾ [الناس:٣] إشارة للألوهية، قال عز وجل: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا هذا إشارة للألوهية وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾ [فصلت:٣٧] خلقهن إشارة للربوبية قال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ [البقرة:٢١-٢٢] يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا هذا إشارة للألوهية الَّذِي خَلَقَكُمْ هذا إشارة للربوبية، قال عز وجل: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ﴾ [الزمر:٣٨] أول الآية في تقرير الربوبية وما بعدها في تقرير الألوهية، إذن آيات كثيرة جاءت في بيان الربوبية والألوهية.

وهل هذا القول قول ابن تيمية والشيخ محمد بن عبد الوهاب؟ لان هذا جاء عن الصحابة وعن التابعين راجع ما قاله أئمة التفسير من الصحابة والتابعين عند قوله عز وجل: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [يوسف:١٠٦] في آخر سورة يوسف، وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بأي توحيد؟ الربوبية، إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ بالألوهية، جاء هذا عن ابن عباس ومجاهد بن جبر وقتادة وزيد بن أسلم وغيرهم من الصحابة والتابعين، بل جاء هذا عن أئمة كبار جاء عن الإمام أبو حنيفة رحمه الله وهو متوفى سنة ١٥٠ قبل ابن تيمية وقبل الشيخ محمد بن عبد الوهاب جاء عنه في كتاب له اسمه الفقه الأبسط جاء قوله: **(إن الله يدعى من أسفل إلى أعلى والأسفل ليس له من وصف الربوبية والألوهية شيء)** الإمام الطحاوي الحنفي المتوفى في أوائل المئة الرابعة قال **(نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله إن الله واحد لا شريك له ولا شيء يعجزه ولا شيء مثله ولا إله غيره)** هذا في الربوبية وفي الألوهية، وابن منذة وابن بطة العكبري هؤلاء كلهم قبل شيخ الإسلام ابن تيمية وقبل الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

إذن فهذه المسألة تكون واضحة عند طالب العلم تقسيم التوحيد ليس من ابتداع ابن تيمية ولا اختراع الشيخ محمد بن عبد الوهاب هذا دل عليه آيات كثيرة في القرآن وهو قول الصحابة والتابعين بل حتى أئمة الأشاعرة الرازي وهو من أئمة الأشاعرة في تفسيره لآيات كثيرة في القرآن فيها الإشارة للربوبية والألوهية يذكر هذا التفسير وإن كان لا يقر به صراحة لكنه يذكر أن قوله عز وجل: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [الناس:١] هذا يدل على أن الله خالق رازق ﴿إِلَهِ النَّاسِ﴾ [الناس:٣]

يدل على أنه المستحق للعبادة، فالمقصود أنه لا يعارض ولا يكابر في هذا إلا مكابر معارض وإلا فالقرآن والسنة واللغة كلها تدل على أن التوحيد ثلاثة أنواع.

(اعلم رحمك الله أن التوحيد هو إفراد الله سبحانه بالعبادة) هذا توحيد الألوهية هو إفراد الله بالعبادة أو إفراد الله بأفعال عباده ويسمى هذا التوحيد التوحيد العملي أو التوحيد الطلبي أو التوحيد القصدي أو توحيد التعلق أو توحيد الألوهية أو توحيد العبادة كلها من أسماء توحيد الألوهية.

(وهو دين الرسل الذي أرسلهم الله به إلى عباده) كل الرسل من أولهم إلى آخرهم جاؤوا بتوحيد الألوهية وهو الذي وقعت فيه الخصومة بين الرسل وأقوامهم ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل:٣٦] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥] وفي سورة الأعراف كل رسول يقول لقومه ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [المؤمنون:٣٢] .

(فأولهم نوح عليه السلام أرسله الله إلى قومه) أول الرسل نوح ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [النساء:١٦٣] وجاء في البخاري ومسلم في حديث الشفاعة الطويل ((أنت أول رسول أرسله الله إلى أهل الأرض)) فنوح هو أول الرسل عليه السلام.

(أرسله الله إلى قومه لما غلوا في الصالحين) لما غلوا في الصالحين والغلو هو مجاوزة الحد ويقع في العقائد ويقع في العبادات.

(لما غلوا في الصالحين ودًا وسواعًا ويغوث ويعوق ونسرًا) اختلف أهل العلم فيمن عبد هذه المعبودات فقيل عبدها قوم نوح وعبدها العرب من بعدهم وهذا قول ابن عباس وقول الجماهير أنها معبودات عبدها قوم نوح وعبدها العرب من بعدهم، والقول الثاني أن هذه المعبودات عبدها العرب ولم يعبدها أحد قبلهم، وذلك راجع إلى قوله عز وجل في سورة نوح: ﴿وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ﴾ [نوح:٢٣] من هم الذين قالوا؟ قيل أن الذين قالوا طائفة من قوم نوح وهذا توجيه القول الأول وقيل أن قوله ﴿وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ﴾ [نوح:٢٣] أن هذا من القائل؟ كفار قريش وهذا توجيه القول الثاني.

قيل أن هذه الأسماء ود وسواع ويغوث ويعوق ونسرًا أسماء لأبناء آدم عليه السلام عبدوا من دون الله تعالى، وقيل أنها أسماء لقوم صالحين بين آدم ونوح، وقيل أنها أسماء قوم صالحين من قوم نوح وهذا الذي جاء عن ابن عباس في البخاري قال ابن عباس كما في كتاب التفسير عند البخاري عند تفسير آية نوح قال البخاري قال ابن عباس بإسناده قال ابن عباس: ((هذه أسماء رجال صالحين في قوم نوح لما هلكوا أوحى الشيطان إليهم أن انصبوا لهم أنصابًا حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم وفي رواية ونسخ العلم وفي رواية وتنسخ العلم عبدت)) وهذا القول الأخير هو المشهور، وكيف عبدت هذه الأصنام وانتقلت إلى العرب؟ أن هذه الأصنام ساقها الطوفان الذي أغرق قوم نوح وغمرها التراب فجاء كاهن عمرو بن لحي الخزاعي أحد شيوخ العرب وأوحى إليه أن يذهب إلى ساحل جدة ويستخرجها فذهب واستخرجها وجلبها وعبدت من دون الله، والقول الثاني المشهور أن عمرو بن لحي كان يتردد في تجارة له إلى الشام فرأى الناس يعبدون هذه الأصنام فاستحسن ذلك وجلبها إلى مكة حتى عبدت.

(وآخر الرسل محمد ﷺ) آخر الرسل هذا دل عليه القرآن والسنة وإجماع الأمة ﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب:٤٠] وأجمعت الأمة على أن الرسول ﷺ في فتح مكة كسر صور هذه الأصنام وحطمها بعود كان في يده وهو يقول ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء:٨١].

ونقف عند هذا وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.